

نماذج من إسهامات المؤرخ يحيى بوعزيز في تحقيق المخطوط الجزائري

د. عبيد بوداود،

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر .

يعتبر الدكتور يحيى بوعزيز، من أكثر المؤرخين الجزائريين المعاصرين تأليفاً، فلقد أحصينا له ما يزيد عن ثمانية وعشرين مؤلفاً مطبوعاً، منها: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الموجز في تاريخ الجزائر، تاريخ العالم الحديث من فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الثانية (تأليف مشترك)، ثورة 1871م "دور عائلتي المقراني والحداد، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، علاقات الجزائر الخارجية 1500-1830م، التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، وهران عبر التاريخ، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية 1920-1954"، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، الاستعمار الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، فريدة منسية أو تاريخ قسنطينة، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز، طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود (تحقيق)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، المراسلات الجزائرية الأسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمريد، موقف العائلات الأوروستقراطية من الباشا محمد المقراني وثورته 1871، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده لمصطفى بن التهامي (تحقيق)، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية لجهة التحرير الوطني،

تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 11 إلى مطلع القرن 20، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دائرة الجعافرة، تاريخ وحضارة وجهاد، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب. فضلا عن المشاريع التي هي في طور الطبع الثورة في الولاية الثالثة، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين من شهداء ثورة أول نوفمبر، في بيوت أذن الله أن ترفع، رحلة في فضاء العمر، أو مذكرات القرن، البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد 1917-1956، ولقد شمل فيها اهتمامه كل مراحل التاريخ الوطني، مع التركيز على أحداث القرن التاسع عشر، لاسيما المقاومة الشعبية، وكذلك أحداث القرن العشرين، لاسيما الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954.

إن هذا لا يعني أن المؤرخ انصب اهتمامه على التاريخ السياسي للجزائر الحديث منه والمعاصر فقط، بل تعداه إلى حقول أخرى من التاريخ، ومنها التاريخ الثقافي، وهذا ما يظهر في كتابه أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995)، وهو في جزأين، وكذلك التاريخ المونوغرافي من خلال التأريخ لبعض المدن والمناطق مثل وهران، وتلمسان، ودائرة الجعافرة (وهران عبر التاريخ، الجزائر، 1989، ط2، وهران، 2002. تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، 1985. دائرة الجعافرة، تاريخ وحضارة وجهاد، دار هومة، 2002).

لم يقتصر نشاط الدكتور يحيى بوعزيز على التأليف فحسب، بل كانت له محاولات في مجال التحقيق، أي تحقيق التراث الجزائري المخطوط. ونحاول في هذه المداخلة التعريف بثلاثة مؤلفات عمل الدكتور على تحقيقها، ونشرها، وبالتالي تمكين الباحثين من الاطلاع عليها والاستفادة منها، وهي: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، للحاج مصطفى بن التهامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995. طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، للآغا بن عودة المزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،

1990- روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، لابن سعد التلمساني، منشورات ANEP، المطبعة الحديثة، الجزائر، 2004. إن خطتنا في هذا العرض، تتضمن التتويه بأهمية هذه المؤلفات، والجهود الحثيثة التي بذلها المحقق في الوصول إليها، والعمل على تحقيقها ونشرها، ومنهجه في التحقيق.

أولا: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، للحاج مصطفى بن التهامي:

يقع الكتاب في أربعة مائة وثمان صفحات، وضع له المحقق مقدمة سماها تمهيد وتقديم، استغرقت منه ما بين الصفحة الخامسة، والصفحة الثانية والثلاثين، تعرض فيها إلى قصة هذا المخطوط، ثم محتواه، وبعد ذلك عرض نص المخطوط، مع التدخل بين الحين والآخر في الهوامش لرفع الالتباس أو الغموض عن بعض الأحداث أو المواقف، أو التعريف ببعض الأشخاص والأماكن الجغرافية. ومما جاء في التقديم، الإشارة إلى دواعي التأليف، والمراحل التي مر بها المخطوط إلى أن انكب الباحث على تحقيقه، والتأكد من صاحب المخطوط، وعنوان المخطوط، ولغته، وأقسامه، وتقديم قراءة نقدية لمحتواه. يقول المحقق في دواعي تأليف الكتاب، والسياق العام الذي جاء فيه: "من المظاهر الملفتة للنظر في القرن التاسع عشر قيام بعض المسافرين الفرنسيين في الجزائر بتكليف بعض كبار المقاومين الجزائريين الذين اضطروا لوضع السلاح والاستسلام إليهم، وبعض المثقفين المتعاونين معهم، بأن يكتبوا لهم مذكراتهم. ويؤلفوا بعض الكتب في موضوعات معينة من أجل دفعهم من وراء ذلك إلى الإشادة بحكمهم، وإظهار ما لهم من خصال حميدة...". (ابن التهامي، ح. 1995: 5).

ثم سرد مجموعة من النماذج إلى أن وصل إلى الأمير عبد القادر، الذي طلب منه خلال إقامته بقصر أمبواز كتاب تاريخ حياته: "ميلاده، ونشأته الصغيرة، ورحلته مع والده إلى المشرق، وعودته، ومبايعته أميرا، وحروبه مع النصارى ورأيه فيهم، وفي سلطان المغرب الأقصى، وموقفه ممن رضوا أن يكونوا تحت سلطة

النصارى، فكلف هو ابن عمته ورفيقه في الجهاد مصطفى بن أحمد التهامي أن ينجز ذلك، فوضع مخطوطا لذلك سار عليه، وساعده الأمير في كتابة بعض فصوله، وإملاء البعض الآخر." (ابن التهامي، ح. 1995: 7).

وهنا يؤكد المحقق أن مؤلف الكتاب، هو الحاج مصطفى بن أحمد بن التهامي، وليس الأمير عبد القادر، كما ظن البعض، وقدم أدلة على ذلك. أما عن المراحل التي مر بها المخطوط إلى أن انكب الباحث على تحقيقه، فيذكر أنه طبع من قبل وزارة الثقافة سنة 1983 مع كتاب المواقف، ووضع له الأستاذ عبد المجيد مزيان، وزير الثقافة آنذاك مقدمة جميلة له، وعنوانه ب: "السيرة الذاتية للأمير عبد القادر". (ابن التهامي، ح. 1995: 9).

يؤكد المحقق أن المخطوط لا يتوفر على أي عنوان لا في مقدمته ولا في خاتمته، واجتهاده هو الذي قاده إلى وضع عنوان قريب من العنوان الذي وضعه عبد المجيد مزيان أي "سيرة الأمير عبد القادر وجهاده"، كما وضع له عناوين فرعية، وفي ذلك يقول: "ووضعنا له عناوين داخلية حسب الموضوعات وفصلنا الفصول عن بعضها البعض، وكذلك المدخل، والمقدمة والخاتمة، للتسهيل على القارئ العودة إلى ما يريد الاطلاع عليه." (ابن التهامي، ح. 1995: 10 - 11).

تعرض المحقق إلى لغة المخطوط، التي قال عنها أنها تتميز بالبساطة والتواضع، مع كثير من الأخطاء اللغوية: "لغة المخطوط بسيطة ومتواضعة حسب لغة ذلك العصر، وبها كثير من الأخطاء اللغوية الفاحشة، خاصة قواعد النحو، والصرف، والرسم، وبها كثير من الجمل والكلمات غير المفهومة... كما أن بها كلمات دارجة وأخرى دخيلة...". (ابن التهامي، ح. 1995: 11).

قسم المحقق المخطوط إلى: مدخل، ومقدمة، وسبعة فصول، وخاتمة. وذلك حسب الموضوعات، ويلاحظ على هذه الفصول عدم التوازن من حيث عدد الصفحات.

قدم المحقق قراءة نقدية في مضمون المخطوط، حيث يذكر أن صاحبه أكثر من الاستطرادات التي أخرجته عن الموضوع، وجعلته يتيه في موضوعات كثيرة ومتشعبة، باستثناء الفصل الأول والرابع: "الفصل الأول يتحدث عن نسب الأمير وشجرته التي توصله إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، والفصل الرابع يتحدث عن رحلته إلى المشرق مع والده وعودته، وعن مبايعته أميراً للجهاد ومقاومته ومعاركه إلى أن نفي إلى فرنسا في نهاية عام 1847". (ابن التهامي، ج. 1995: 13)، ويعلق المحقق على محتوى هذا الفصل، ويعتبره بمثابة قراءة جديدة ومفصلة لرحلة الأمير إلى المشرق، وعودته، مرحلة بمرحلة، ولمعاركه وحروبه ضد الاستعمار الفرنسي، لكنه يعيب على محتوى المخطوط الذي يتميز بالتكرار، وعدم احترام تسلسل الأحداث.

محتوى المخطوط: يستعرض محتوى كل فصل على حدة، بالإضافة إلى المدخل والمقدمة والخاتمة. ويخلص إلى سعة ثقافة المؤلف بدليل المواضيع المتشعبة التي طرقها. (ابن التهامي، ج. 1995: 13 - 21) نص المخطوط يبدأ بصورة للصفحة الأولى من المخطوط، وهو ما بين صفحتي 35 - 294.

ذيل المحقق هذا الكتاب بأربعة ملاحق هي: 1- تمرد الحاج موسى الأغواطي المدعو بوحمار ضد الأمير عبد القادر. 2- غوثية الحاج مصطفى بن التهامي. 3- وثائق جديدة حول محاربة الأمير عبد القادر للشيخ التجاني بعين ماضي ولقبائل المخزن بوهران وقضايا أخرى. 4- عودة إلى مراسلات الأمير عبد القادر ومواقفه من رفاق السلاح بالجزائر. توجد هذه الملاحق ما بين صفحتي 297 - 370. بالإضافة إلى خارطة في الصفحة 371، مع ثبت للفهارس: الأعلام، والقبائل، والأجناس، والأماكن، ما بين صفحتي 375 - 382، وقائمة للمراجع المعتمدة في التحقيق، ما بين صفحتي 383 - 389.

ثانياً: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، للأغا بن عودة المزاري:

يوجد هذا الكتاب في جزأين، الجزء الأول به أربعمئة وخمس صفحات، والجزء الثاني به أربعمئة وسبع وعشرين صفحة، طبع بدار الغرب الإسلامي ببينروت طبعة أولى سنة 1990.

إن العنوان الحقيقي لهذا الكتاب، هو طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخزنها الأسود. والمحقق هو الذي أدخل عليه هذا التعديل حتى يتجاوب مع مضمونه، الذي يذكر عنه المحقق ما يلي: "فقد توسع مؤلفه الآغا إسماعيل بن عودة المزابي في التأريخ لمدينة وهران، والجزائر، والغرب الوهراني، وإسبانيا، وفرنسا، والأتراك العثمانيين، من غابر العصور إلى عهده عام 1890م". (المزابي الآغا ، ب. 1990: ج1، أ).

بعد كلمة شكر وتقدير موجهة إلى صاحب دار الغرب الإسلامي السيد الحبيب المسمي، انتقل المحقق إلى تقديم مجموعة من التوضيحات تخص المخطوط، وكيف تم العثور عليه من قبل الباحث، والصعوبات التي واجهته من قبل مسؤول متحف أحمد زبانا من أجل تصويره، رغم حصوله على إذن بذلك من قبل وزارة الثقافة والسياحة. ثم الشروع في نسخه باليد، وبعد ذلك كتابته بالآلة الرقاقة، مع العمل على تبويبه وفهرسته وتصحيحه، وما تطلب منه ذلك من جهد مضمّن، ووقت طويل. ثم نبه إلى أمور شكل بعضها خطة الباحث في التعامل مع المخطوط، وتحقيقه، (المزابي الآغا ، ب. 1990: ج1، 5- 8) ومن بينها الأخطاء الكثيرة اللغوية والنحوية والإنشائية الواردة في المخطوط، مما توجب التنبية إليها في الهوامش، كثرة أسماء الأعلام غير العربية، مما تطلب من الباحث إعادة كتابتها بالحروف اللاتينية قبالة كتابتها بالعربية تفاديا للأخطاء في قراءتها.

كما اضطر الباحث إلى وضع عناوين فرعية، تسهّلا لاستغلال الكتاب من قبل الباحثين، كما قسمه إلى جزأين، وهذا محض اجتهاد منه ، كما أجهّد نفسه في وضع ترجمة للمؤلف، ولكنه لم يعثر إلا على شذرات لا تسمّن ولا تغني من جوع. ووضع لكل جزء من الكتاب فهرس خاصة به، لكل من الأعلام، والقبائل،

والجماعات، والأماكن الجغرافية، وأسماء الكتب. بالإضافة إلى قائمة بالمصادر والمراجع، ومنها كتب اعتمد عليها المؤلف في عمله، وملاحق تمثلت في خرائط ثلاث لوهرا، وقوائم بأسماء مختلف السلالات الحاكمة في المناطق التي تعرض له الكتاب.

ومما لا شك فيه أن هذا العمل يتطلب من المحقق جهدا كبيرا، خصوصا إذا وضعنا بعين الاعتبار كبر جرم الكتاب.

ثم انتقل المحقق فيما بعد إلى مرحلة ثانية من الدراسة عنونها بـ: "تمهيد في التعريف بمخطوط طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود للأغا بن عودة المزارى"، تعرض فيها إلى مجموعة من الأفكار، من أهمها تعريف مقتضب بالمؤلف، ثم بالمخطوط، من حيث عدد صفحاته، وقياسه، ومسطرته، ونوع الخط الذي كتب به، ثم أقسام المخطوط وتاريخه، فمحتويات المقاصد الخمسة، ثم بعض الملاحظات حول محتوى المخطوط، وهل هو من تأليف المزارى حقا؟ وقد استغرق منه ذلك ما بين صفحتي 13 و 48.

ومن أهم ما وقف عليه المحقق، في هذا التمهيد أن المخطوط يتألف من 582 صفحة، بترت منها ثماني صفحات من رقم 538 إلى 545، ويرى أن ذلك تم عن قصد، وهي صفحات تحدث فيها المؤلف عن نفسه، وموقفه من الأمير عبد القادر، والمقاومة الوطنية. (المزارى الآغا، ب. 1990: ج1، 13-14) كما يذكر رقم المخطوط بمكتبة متحف أحمد زبانا بمدينة وهران، ولا يعتقد أن له نسخة أخرى مكتشفة.

يعود تاريخ تأليف المخطوط إلى نهاية عقد الثمانينيات وبداية عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر، ويتشكل من خمسة أقسام يحمل كل واحد منها اسم مقصد، وهي:

المقصد الأول: فيمن بنى وهران، وفيمن أمر ببنائها، وأي تاريخ بنيت فيه. وبه

8 صفحات، من 4 إلى 11.

- المقصد الثاني: في ذكر بعض أوليائها والتعريف بهم، وبه 20 صفحة، من 11 إلى 30.
- المقصد الثالث: في ذكر بعض علمائها والتعريف بهم، وبه 9 صفحات، من 30 إلى 38.
- المقصد الرابع: في ذكر الدول التي حكمتها، وهي تسع، وبه 486 صفحة، من 38 إلى 523.
- المقصد الخامس: في ذكر مخزنها وهو عين المراد، وبه 59 صفحة، من 523 إلى 582. "المزاري الآغا ، ب. 1990: ج1، 15)
- من أهم ما قدمه المحقق من ملاحظات عن المخطوط، أو ما قد نسميه قراءة نقدية، أن المخطوط غير متوازن في مقاصده الخمسة، وأن المؤلف أكثر من الحشو الذي أخرجه عن صلب الموضوع، وجعله يقع في الكثير من الأخطاء التاريخية، كما أن لغته تتميز بالبساطة والسهولة، مع الكثير من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية. اعتمد المؤلف على أكثر من خمسين مؤلفا، لكن أغلب نقوله من كتب أبي راس الناصر، وكتاب دليل الحيران وأنيس السهران لشيخه محمد بن يوسف الزياتي. (المزاري الآغا ، ب. 1990: ج1، 33- 34)
- وفي آخر هذه الدراسة ساق المحقق مجموعة من الأدلة جعلته يجزم أن كتاب طلوع سعد السعود هو من تأليف الزياتي، حيث يقول بالحرف الواحد: "إن هذه المقارنة تثبت بما لا يدع مجالا للشك، بأن مخطوط: طلوع سعد السعود، إما أن يكون للزياتي نفسه، ونسبه للمزاري لنفسه لظرف من الظروف...أو يكون المزاري نقله حرفيا من كتاب دليل الحيران للزياتي، وتصرف فيه قليلا بالحذف، والاختصار، والتقديم والتأخير، واستغل مركزه كأغا ليقنع شيخه الزياتي، أو يرغمه على السكوت، وقبول الأمر الواقع، وليس هناك تفسيراً آخر غير هذين الافتراضين." (المزاري الآغا ، ب. 1990: ج1، 44)، وذلك بعد أن أجرى مقارنة بين الكتابين أي طلوع سعد السعود، ودليل الحيران.

ثالثا: روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، لمحمد بن سعد التلمساني:

هو كتاب في الترجمة لأربعة شيوخ من كبار صوفية القرن التاسع الهجري، الذين عاشوا بالمغرب الأوسط، وهم محمد بن عمر الهواري (ت843هـ)، والحسن أبركان (ت857هـ)، وإبراهيم التازي (ت866هـ)، وأحمد الغماري (ت874هـ). وهذا الكتاب هو اختصار لكتاب أكبر منه حجما، يحمل عنوان النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لنفس المؤلف (بوداود، ع. ديسمبر2003 - جوان 2004، 35: 44). اعتمد المحقق على نسختين، نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، التي هي تحت رقم: 2596، وبها أربعمئة وسبع وتسعين صفحة، وهي التي اعتبرها النسخة الأصلية، ونسخة المكتبة العامة بالرباط، والتي تقع ضمن مجموع، تحت رقم: ك 1006، عدد صفحاتها اثنين وثمانين صفحة، من الصفحة 450 إلى الصفحة 531.

تمثلت خطة المحقق في تحقيق المخطوط فيما يلي: أولا وضع مقدمة في التعريف بمخطوط روضة النسرين، ثم التعريف بالشيخ محمد بن سعد الأنصاري التلمساني (ت901هـ) صاحب الكتاب، وتلا ذلك التعريف بالشيخ الأربعة المترجم لهم في المخطوط، وقد استغرق منه ذلك ما بين الصفحة الخامسة، والصفحة الواحدة والأربعين. (ابن سعد التلمساني. 2004: 5 - 41).

ثم عرض نص المخطوط ابتداء من الصفحة السابعة والأربعين إلى غاية الصفحة المائتين وتسعة وثلاثين، مكثفيا بعرض النص دون تعليق، ونشير أن العناوين الفرعية هي من وضع المحقق. وفي الأخير أثبت قائمة بمصادر ومراجع ذات صلة بالموضوع. (ص241 - 246).

إن هذه الأعمال الثلاثة تسجل للدكتور يحيى بوعزيز - بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى المتعددة - فبفضل الجهود التي بذلها مكن جمهورا واسعا من الباحثين والمهتمين بالتاريخ الوطني من الإطلاع على هذه المؤلفات، وتوظيفها في أبحاثهم، ولولا مبادراته تلك لظلت هذه المخطوطات حبيسة الخزانات، متوارية عن

أنظار الباحثين، ولربما نفقدها في يوم من الأيام، كما جرى للكثير من ذخائر هذا الوطن.

الببليوغرافيا:

- ابن سعد التلمساني.(2004). روضة النسر في التعريف بالأشياء الأربعة المتأخرين، تحقيق يحيى بوعزيز، الجزائر: منشورات ANEP.
- ابن التهامي، الحاج مصطفى.(1995). سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق يحيى بوعزيز، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي .
- بوداود، عبيد.(ديسمبر2003- جوان2004)"تقديم مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المفخر" مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، العددان الرابع والخامس، ص 35- 44.
- المزارى الآغا، بن عودة. (1990). طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق يحيى بوعزيز، ج1، بيروت : دار الغرب الإسلامي .